ووجه نقله الى هذا التغيير ان ثاني السبب الذي يسكن
او يحذف هو حائل بين الحرف الذي قبله والذي بعده وما دام
متحركا او ثابتا بعد ملتقاهما فاذا حذف التقيا واذا سكن
قرب التقاؤهما لان التسكين طي مسافة الحركة فيصدق على كل
من الملتقيين للمغير انه زحف الى صاحبه وكذا ايضا يصدق
زاحف احدهما الاخر فيكون الزحاف مصدرا لغو زاحف احد
الصنفين الاخر اي مشى كل الى صاحبه وكان المادة تؤذن بالمشقة
في ذلك المشي وكراهته على خلاف الطبع ومنه قوله في صرف
المدونة ولم يجز مالك الدرهم بالدرهمين الا زحفا اي عن كراهة
كانه لكراهته لا يسرع المشي اليه بل يشتغل من الحركة اقلها ولا
بد منه ومنه زحف القتال لكراهة المشي اليه لما فيه من الموت
وكذا التقاء الحرفين او تقاربهما بعد تغيير الوسط بينهما مخالف
للطبع واما اختيار كونه جمعا فبان يكون جمع زحف المصدر
باعتبار نوعيه واختلاف محاله ويجمع ايضا على فعول ككعب
وكعاب وكعوب قال الجوهري والزحف الجيش يزحفون
الى العدو انتهى قلت وقد يكون الزحاف في الاصل جمعا
لهذا ونقل الى هناك لملاحظة هذا المعنى في جنس الحرفين
المفترقين بالتغيير قال ابن بري التغيير اللاحق للاخر زحاف
وعلة فالزحاف ما يلحقها في ثاني اسبابها سمي زحفا وزحافا
لما حدث من سرعة النطق بالحروف لما نقص من الكلمة من زحف الى الحرب
اذا اسرع قال امرؤ القيس • فاقبلت زحفا على الركبتين •
والزحف التقارب الى الحرب قليلا قليلا قاله في العربيين قلت
وفي قوله اذا اسرع واستشهاده بالبيت نظر لا يخفى بل هو من

ثقل

ثقل وعليه يدل البيت واين الاسراع ومن يقول على الركبتين
وانما يريد التثاقل في المشي والثبوت للحرب بالحبو على
الركب والزحف عليهما وعلى ذلك تدل المادة على ما قررناه ومنه
قوله تعالى اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فسمي تغيير الجزء
زحفا لنقص حركته بما حذف منه كما ان ثقل الحركة نقص منها
وزحفا لتغيير الذي هو اعياؤه نقص من حركته وقوته ثم قال
ابن بري والعلة تغيير الاجزاء الواقعة في محل العروض والضرب
بزيادة عليهما او نقصان وتفارق الزحاف بلزومها وعروضه
واختصاصها بالعروض والضرب وعدم اختصاصه بهما
وعدم اختصاصها بثاني السبب وهو مختص به الا في الخرم على
راي وهي تكون بزيادة ونقصان وسلامة منهما ومن هو لا يكون
الا بالنقص الا في الخزم ومعنى لزوم العلة انها ان دخلت
في عروض او ضرب لزم دخولها فيه في جميع القصيدة وليس
كذلك الزحاف واختص الزحاف بالاسباب لانها اكثر من الاوتاد
لان عدد الاسباب في اجزاء التفعيل العشرة ثمانية عشر والاوتاد
عشرة وهو اكثر من العلل فاعطي الاكثر للاكثر تخفيفا ولان السبب
كثير الاضطراب والوتد ثابت فاذا زحف السبب اعتمد على الوتد
فلو زحف الوتد لضعف اعتماده لضعف الوتد كما ان الامر
في بيت الشعر كذلك وتقدم ان بيت الشعر مشبه به واختص
ثاني السبب بالزحاف لانه لو زحف اوله لادى الى الابتداء
بالساكن في الخفيف مطلقا وفي الثقيل اذا اضمر ووقع في
اول البيت وقال بعضهم انما اختص بالثاني لانه اخر
والاواخر محل التغيير ولا خفاء بضعف هذا التعليل ونقضه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)